مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn: 2572-0058 Eissn: 2676-1696
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485
المجلد:10 العدد: 01 جانفي (2026) ص280 / 295

الخطاب السجالي وجوانبه الإجرائية (ظاهرة التكرار في شعر النقائض)

Polemical Discourse and Its Procedural Aspects: The Phenomenon of Repetition in Naqā'iḍ Poetry

• نور الدين عبد الكبير
مخبر أبحاث في التراث الفكري والأدبي في الجزائر
جامعة باتنة 1 الحاج لخضر(الجزائر)
nourdinne.abdelkebir@univ-batna.dz

أ.د أحمد جاب الله
مخبر أبحاث في التراث الفكري والأدبي في الجزائر
جامعة باتنة 1 الحاج لخضر (الجزائر)
ahmed.djaballh@univ-batna.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2025-03-18
تاريخ القبول:
2025-12-25

الكلمات المفتاحية:
- ✓ خطاب
- ✓ سجال
- ✓ خاصية
- ✓ مناظرة
- ✓ نقد
- ✓ تكرار

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن بعض خصائص الخطاب السجالي وآلياته من منطلق بلاغة الاختلاف والتفاعل، مع التركيز على أبعاده التداولية الحساسة، وقد تم استحضار نماذج من النتاج الثقافي العربي، قديماً وحديثاً، الذي تميز بسياقات الجدال والمناظرة، خاصة في شعر النقائض خلال العصر الأموي. ويتضح أن الخطاب السجالي يشكل بنية معرفية قادرة على توليد المعنى وتوسيع آفاق التفكير من خلال تنوع الأساليب وتعدد آليات الحجاج. كما تهدف الدراسة إلى الإجابة عن سؤالين محوريين: ما خصائص وآليات الخطاب السجالي في النقد الحديث؟ وكيف تتجلى ظاهرة التكرار في شعر النقائض كنموذج تطبيقي؟

Abstract : (not more than 10 Lines)

This study explores the nature of polemical discourse, focusing on its rhetorical structure rooted in difference, opposition, and interaction. It examines how this type of discourse functions within a sensitive pragmatic framework, where meaning is not only produced through content, but also through dialogic exchange and strategic argumentation. The research draws on examples from Arab intellectual and literary heritage, particularly the rich tradition of poetic rivalry in the Umayyad era, exemplified in *naqā'iḍ* poetry. This form of poetry, based on mutual refutation, illustrates how polemics serve as a mechanism for intellectual growth and cultural expression.

Article info

Keywords:
- ✓ Discours
- ✓ Polemics
- ✓ Feature
- ✓ Debate
- ✓ Criticism
- ✓ Repetition

المقدمة :

يشكل شعر النقائض إحدى الظواهر اللافتة في التراث الأدبي العربي، حيث اتخذ الشعراء من السجال والهجاء ساحة للتباري والتفوق، في سياقات سياسية واجتماعية وثقافية معقدة، خاصة خلال العصر الأموي. وقد مثل هذا اللون من الشعر شكلاً من الخطاب السجالي الذي يقوم على التحدي والردّ والنقض، مستثمرًا أدوات بلاغية وأساليب لغوية خاصة أبرزها التكرار، الذي يُعد من الوسائل الإجرائية الفاعلة في تكثيف المعنى وتأكيد الموقف.

ولئن ارتبط التكرار في البلاغة العربية بالزينة اللفظية أو الوظائف الإيقاعية، فإن حضوره في شعر النقائض يتجاوز هذه الوظائف ليؤدي دورًا سجاليًا، تتفاعل فيه الأبعاد النفسية والاجتماعية والسياسية. فالتكرار هنا ليس ترفًا لغويًا، بل آلية حجاجية تُسهم في تعزيز التوتر الخطابي، وشحن اللغة بطاقة هجائية تضاعف أثرها في المتلقي.

تسعى هذه الدراسة إلى رصد الجوانب الإجرائية للتكرار في الخطاب السجالي الذي تمثله نقائض جرير والفرزدق (أنموذجًا)، من خلال تحليل البنية اللغوية والوظيفية للتكرار، واستجلاء أثره في دعم المواقف السجالية للشاعر. كما تهدف إلى الإجابة عن الإشكالية التالية:

ما الدور الذي يلعبه التكرار في تكوين الخطاب السجالي داخل شعر النقائض؟

لتحقيق ذلك، تعتمد الدراسة منهجًا تحليليًا بلاغيًا، يمزج بين الوصف والتفسير، مع الاستناد إلى مفاهيم حديثة في تحليل الخطاب، بما يسمح بفهمٍ أعمق لدينامية اللغة في سياق التنازع الشعري.

أولا : الخطاب السجال بين المفهوم و الهدف

يُعدّ الخطاب السجالي شكلًا من أشكال الخطاب الحجاجي الذي يُبنى في سياقات التنازع الرمزي، ويهدف إلى المواجهة المباشرة بين أطراف متعارضة، حيث يُستخدم القول لتقويض الطرف الآخر وتعزيز موقف المتكلم1، وهو لا يكتفي بعرض الأفكار أو الدفاع عنها، بل يتجه نحو **التهجم، والنقض، والتشكيك، والتحدي**، مما يجعله خطابًا ذا طابع هجومي، يعتمد على أدوات بلاغية مخصوصة كالتكرار، والمفارقة، والتضخيم، والسخرية 2 .

من حيث الهدف، فإن الخطاب السجالي يتأسس على غايتين مركزيتين:

1. **التقويض :**أي تفكيك صورة الخصم، والطعن في رمزيته أو حُجّيته.
2. **التعزيز :**أي بناء صورة ذاتية قوية لدى المتكلم تعزز من سلطته الرمزية أمام الجمهور 3 .

تشكل الغايتان **(التقويض والتعزيز)** جوهر الخطاب السجالي، بوصفه بنية لغوية تنبني على صراع رمزي بين المتكلم والآخر. ففي الوقت الذي يسعى فيه المتكلم إلى **تفكيك صورة الخصم** عبر الطعن في القيم، أو النسب، أو الكفاءة، يعمل في الوقت ذاته على **بناء صورة مثالية عن ذاته أو جماعته** تعزز من سلطته في الخطاب. وتتمثل قوة هذا النوع من الخطاب في كونه لا يكتفي بإقناع المتلقي، بل يعمل على تعبئته نفسيًا واجتماعيًا، من خلال تحويل اللغة إلى أداة للهيمنة الرمزية.

وقد أشار **شارل بيرلمان** إلى أن الخطاب الحجاجي، بما فيه السجالي، لا يكون ناجحًا إلا إذا استطاع "زعزعة يقين الطرف الآخر، وفي الوقت ذاته، بناء صورة لموقف يتسم بالمعقولية والتفوق 4 " .

ويؤكد الباحثون في تحليل الخطاب أن السجال لا يُفهم فقط من خلال بنيته اللغوية، بل من خلال **وظيفته التداولية**، حيث يتحول النص إلى *فعل كلامي حجاجي* **(acte de parole argumentatif)** يُمارَس في أفق التأثير والإقناع 5 . وفي السياق العربي الكلاسيكي، يتجلى هذا النمط من الخطاب بوضوح في شعر النقائض، الذي اتخذ من الرد والنقض ساحة لإبراز التفوق القبلي والرمزي.

يُعد الخطاب السجالي من أبرز أشكال التعبير عن **الاختلاف الثقافي والمعرفي**، إذ يقوم على بلاغة التباين والحجاج، ويزدهر في البيئات التي تشهد تنوعًا فكريًا واسعًا. وقد تميّز **العصر العباسي** بانفتاح ثقافي كبير وهيمنة التعدد المذهبي والكلامي، مما وفّر أرضية خصبة لنشوء خطاب سجالي كثيف، كما تشهد على ذلك مؤلفات الفرق مثل *الملل والنحل* للشهرستاني، والمناظرات الكلامية التي نقلها مؤرخو ذلك العصر كالمسعودي والطبري 6. فالخطاب السجالي في هذا السياق لا يُعبر فقط عن الصراع، بل يساهم أيضًا في **إنتاج معرفة تعكس دينامية التداول داخل المجتمع** 7.

01-مفهوم الخطاب السجالي :

يرى الكثير من الباحثين أن الخطاب السجالي شكل من أشكال التفاعل الخطابي، ويعد حدثا لفظيا قائما على آلية التواصل بين طرفين،و قد يحيل على معنى المبارزة بين خصمين، ويحدث نوعا من الصراع لدرجة العداوة بينهما، إنه خطاب خلاف أو اختلاف قد يجر إلى الخصومة أحيانا أو إلى الحرب أحيانا أخرى كما يرى أرليوني" Arlioni "8 .

برز هذه الفقرة البعد التفاعلي في الخطاب السجالي، باعتباره مواجهة لفظية بين طرفين في حالة تضاد، لا تقتصر على الخلاف الرأي، بل قد تتطور إلى مستويات عالية من التوتر الرمزي تصل إلى حد العداء أو التهديد الفعلي، كما أشار إلى ذلك **Arlioni.** وهذا التصور يعزز فكرة أن الخطاب السجالي ليس مجرد حوار جدلي، بل حدث لغوي صراعي تتقاطع فيه أبعاد لغوية ونفسية وثقافية، مما يجعله شكلاً من أشكال الهيمنة الرمزية أو المبارزة البلاغية.

يُنظر إلى الخطاب السجالي في الشعر العربي على أنه أكثر من مجرد جدل لفظي، بل هو وسيلة معرفية تتجاوز حدود التقليد، وتفتح آفاقًا جديدة للفكر والتعبير. فقد مثّل السجال ردًّا على سلطة النقد التي فرضت نماذج ثابتة، وأسهم في تجديد بنية الخطاب الشعري، من خلال طرح رؤية تفاعلية تُعيد تنظيم العلاقة بين الذات

والآخر على أساس إنساني وديني، لا على أسس عنصرية أو قبلية، خصوصًا في ظل التعدد الثقافي داخل الدولة الإسلامية. ومن هنا تبرز أهمية دراسة الأبعاد المعرفية التي ينتجها هذا الخطاب9 (بتصرف) .

ذلك لأن الخطاب السجالي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالجدل، بوصفه أحد أرقى أشكال الممارسة الفكرية لدى الإنسان، سواء على مستوى البناء البلاغي والإقناعي، أو من حيث وظيفته التواصلية التي تُفعّل التفاعل بين الأطراف المتنازعة في الفضاء الخطاب.

02- البنية التواصلية للخطاب السجالي

يقوم الخطاب السجالي على بنية تواصلية ثلاثية الأبعاد، تشمل :**المرسل (المتكلم(**، و**المرسل إليه (الخصم/الآخر(**، و**الجمهور (المتلقي(**، حيث لا يقتصر التواصل على تبادل المعلومات، بل يتعداه إلى إنتاج مواقف وتوجيه ردود فعل. ويهدف المتكلم إلى التأثير في المتلقي عبر تفكيك صورة الخصم وتعزيز موقعه الحجاجي، وهو ما يجعل السجال خطابًا قائمًا على التفاعل والصراع الرمزي.

وقد أشار **باتريك دوسو** إلى هذه البنية بقوله:

"الخطاب السجالي يتشكل دائمًا في إطار تفاعلي، تُعاد فيه صياغة المعنى بين متكلم يسعى إلى فرض وجهة نظره، وخصم يُستهدف بالتقويض، وجمهور يُطلب دعمه أو انخراطه 10 " .

إذا كيف يُنتج السجال معرفة من خلال التوتر والاختلاف؟ (في البعد التداولي)

في البعد التداولي، لا يُنظر إلى السجال باعتباره مجرد خلاف لغوي، بل كـ**فضاء تفاعلي يتولد فيه المعنى من خلال التوتر بين الذوات .**فالصراع الحواري بين المتكلم والخصم يخلق دينامية معرفية تقوم على مساءلة المسلّمات، وكشف نقاط القوة والضعف في الخطابات المتقابلة. وهذا التوتر ليس سلبياً، بل هو محرك أساسي لإنتاج معرفة جديدة، لأنّه **يدفع كل طرف إلى تبرير موقفه، وتحسين استدلالاته، وتوسيع أفق حججه.**

وقد عبّر **فان ديك** عن ذلك بقوله: " السجال يوفّر بيئة لغوية خصبة تُنتج فيها المواقف، وتُختبر فيها القيم، وتُعاد فيها صياغة الحقائق، مما يمنح الخطاب بُعدًا معرفيًا لا يقل أهمية عن بُعده الإقناعي 11 " .

والخطاب السجالي (**polemics discourse**) على درجة من الأهمية خاصة أنَّه متعلق بمجالاته المعرفية كالسياسة والدِّين والتاريخ والعلوم وغيرها، وهو يجتهد على منطق الحجاج والإقناع بين طرفي السجال الذي ينطلق منه الجدال وتكون فيه الغلبة للذي يمتلك أكثر جرأة وحجة لإقناع الآخر، ومنه فإنَّ الخطاب السِّجالي وسيلة تعبير عن الذات في حوارها مع الآخر، ويمكن اعتباره وعاء معرفيا يستوعب معارفا قصد الحصول على مبدأ الحوارية والتواصل

" فمن الواضح أنَّ الغاية التي يجري إليها النِّقاش ليست من صنف تلك التي يهدف كل من أطراف الخصومة وأطراف الجدال إلى تحقيقها، فالدَّافع التي يحرك المناقش هو الكشف عن الحقيقة وإقناع المنافس بوجهة نظره، والسعي إلى جعله يقبل أحد المواقف منتهى ما يرمي إليه المجادل، أما المخاصم فلا تحركه إلا الرغبة في الانتصار على الخصم 12"

إنَّ هذا الأسلوب في النقد الهجائي، عرفه أيضا النِّصف الأوَّل من القرن العشرين وكتب فيه كتب كثيرة، منه : كتاب العقاد(قنبيز في الميزان) حيث صب جامَّ غضبه على أمير الشعراء"أحمد شوقي وشعره وجرده من كل فضيلة، وكذلك كتب الدكتور زكي مبارك، يشنَّع على أحمد أمين في صفحات مجلة (الرسالة) من خلال مقالاته (جناية أحمد أمين على الأدب العربي)13.

" وللناس ولع بالإطِّلاع على عثرات الآخرين، وتتبع عوراتهم ومثالبهم، ولا شيء يكشف لهم ذلك كالهجاء، ومن هنا كانت قصائد الهجاء أكثر صيرورة على الألسنة في عمرها، ألا ترى أنَّ أهاجي كافور حفظها الناس ومدائحه بقيت حبيسة الكتب ؟ !14"

و هذا ما أحدث ضجة سجالية سماها أصحابها بالمعارك الأدبية كما هو واضح في كتب النقد للمازني و عباس محمود العقاد و طه حسين و غيهم، ممن عايشوا العصر الحديث و المعاصر.

03-البعد التداولي والمعرفي للسجال في شعر النقائض

لايُعد الخطاب السجالي مجرّد مواجهة لفظية بين خصمين، بل هو فضاء تداولي ومعرفي يُنتج من خلاله المعنى ويُعاد فيه بناء الوعي الجماعي. فالسجال لا يقتصر على الهجوم والدفاع، بل يساهم في **صياغة المواقف الجماعية** و**إعادة ترتيب القيم**، حيث يُستدعى الجمهور كشريك في التفاعل، لا كمُتلَقٍ سلبي. وفي هذا السياق، يؤكّد بيرلمان أن الخطاب السجالي "يُحدث توازناً بين الإقناع والمعرفة، لأنه يستنفر الجمهور لتقييم الحُجج، وليس فقط لتلقيها 15" ، مما يمنحه بعدًا معرفيًا يؤسس لمنظومة قيمية داخل المجتمع.

ويبرز هذا البعد المعرفي والتداولي في شعر النقائض، لا سيما في المناظرات الشعرية بين **جرير والفرزدق**، حيث يتجاوز الصراع الحواري التهجم الشخصي ليغدو **منصة لإنتاج معرفة اجتماعية ونقد للواقع** .فمثلاً، يقول جرير مخاطبًا خصمه:

أَتَنسى إذ لحافُك جلدُ شاةٍ *وإذ نعلاك من جَلدِ البَقِيرِ؟*

يستحضر هنا ماضي الفرزدق المتواضع ليُقوّض رمزيته الطبقية والاجتماعية، منتجًا بذلك **معرفة نقدية** حول التحول الاجتماعي والتفاخر الزائف، ومثيرًا في ذهن المتلقي جدلاً حول الفوارق الطبقية ومصداقية الادعاءات16 .

وفي المقابل، يرد الفرزدق بقوله:

إذا غضِبَتْ عليكَ بنو تميمٍ *حسبتَ الناسَ كلَّهمُ غضابا*

هنا لا يكتفي الفرزدق بالرد، بل ينتقد **الانغلاق القبلي**، كاشفًا عن **وعي نقدي بثقافة الانتماء الضيق**، ومقدّمًا تصورًا بديلًا لمفهوم الجماعة والذات، يتجاوز الانتماء العصبوي ليُعيد ترتيب مفاهيم الهيبة والقوة في الخطاب العربي [3.]

ويعزز هذا المنحى ما ذهب إليه عبد السلام يوسف، حين أكد أن الخطاب السجالي في تراثنا البلاغي "آلية حجاجية يتكثف فيها التوتر، ويُعاد من خلالها بناء سلطة المتكلم وحضور الجمهور" [4]. كما أن التحليل التداولي الحديث، وفقًا لتيو فان ديك، يكشف كيف يتداخل السياق الاجتماعي مع البناء الحُجَاجي لإنتاج خطاب يُؤثر في المتلقي ويُشكل مواقفه [2.]

وهكذا، فإن التوتر بين الطرفين يُنتج **خطابًا معرفيًا** يساهم في تفكيك المسلّمات الثقافية، ويُعيد تشكيل الوعي الجماعي ضمن سياق بلاغي تداولي نابض بالحياة والتأثير.

ثانيا : خصائص الخطاب السجالي

وفي خصائص الخلاف أن **توضع مفترضات الخصم**، بوضع سؤال لدحضها وتكذيبها، وهو عمل في صنوف ما يحدث في الحرب من استهداف قواعد الجيش المعادي، فالغلبة تكون في أن ينكر أحد الخصمين على الآخر الفرضيات التي تساند موقفه وقواعده، كأن يكذِّبه في واقعة جاء بها أو يخطئه في تاريخ ذكره، أو عدد استند عليه فيتَّهمه بالمبالغة في قراءة المعطيات17 (بتصرف) .

ربما تأتي هذه المفترضات لتثبيت حق الادعاء، و في الوقت نفسه الهجوم على أفكار الآخر ، و استعمال أساليب منطقية و أخرى واقعية، و إيجاد بعض الثغرات و الدخول منها كتتبع العثرات و السقطات و الزلات بالتكذيب أو التنكيت أو الضحك و الاستهزاء حتى.

أما **الخاصية الثالثة** فمتصلة بما يمنحه كل خصم لنفسه من **حرية في التأويل**، وهو ما يترتب عليه اتِّهام كل طرف الآخر بأنه أساء الفهم، وحرف المقاصد، وأطلق العنان لنفسه في حمل الكلام على غير وجهه واستخدم لغة غير واضحة وغضَّ الطَّرف عن ما وجه إليه من اعترافات وخرج عن جوهر الموضوع، وهي في رأي ديسكال (diskal) وضعية مزدوجة في مطالبة المجادل بالذَّود عن أطروحته من جهة، و هو مدعوٌّ إلى تهوين أطروحة خصمه من جهة أخرى. وقد يكون أيسر تحقيق لهذين الرهانين هو اعتماد خطة المراوغة والتحريف والتقصِّي من مسؤولية القول في حالة التُّهمة 18(بتصرف)

بالنسبة للتأويل و أساءت الفهم و هم اتهام الآخر بقصور أفكاره و عدم عمقها و الجري وراء السطحية و الترسل في الكلام، و كل ذلك جانب من التلاعب و تزييف الحقائق، و منه تغافل موضوع النقاش و الخروج منه مطلقا.

والخاصية الرابعة في **انفتاح** يتَّصف به الجدال، ويتَّخذ وجوها متعددة، وينفتح الجدال على القضايا ذات اختصاصات متنوِّعة وتصورات ومناهج ووقائع توفر فرصا وبدائل وتأويلات وتقنيات للوصول إلى غلبة وترجيح الكفة19 .

قضية الانفتاح قضية جدلية تتكئ على طول النفس و الصبر على المجادل، و حمله على الولوج في اختصاصات و شعب كثيرة و متنوعة لتوقيع الخصم في متاهات و بدائل من شئنها إسكاته و تشتيت أفكاره و إعيائه.

وأما **الخاصيَّة الخامسة** فإنها **نهاية السجال**، والتي لا تعني إنهاء الخلاف، ولا حل المشكل، فهي خاتمة من غير قفلة لأنَّ الاتِّفاق بين المتجادلين غير حاصلة، دون أن يعني ذلك انقلاب الجدال إلى خصومة تسوء العلاقة بين طرفيها في نهاية المطاف20.

مسألة إنهاء السجال مسألة وقت و ربّما نفاذ الكم المعرفي و لو بقاء الخلاف أو تحوله إلى خصومة مثلما يحدث اليوم في الاتجاه المعاكس عند الصحفيين، و الرأي و الرأي الآخر عند المحللين، و قضية و نقاش عند السياسيين و غيرها كثير.

فالخطاب السجالي يُعدّ نشاطًا فكريًا مثمرًا، حتى وإن لم يؤدِّ إلى اتفاق بين أطرافه، لأنه يوضح القضية محل النزاع. ويستند إلى مسلّمات مشتركة أو تجريبية تُبنى عليها الحجة، كما يعتمد بشكل كبير على **الحيلة البلاغية**، لا لإقناع الخصم فحسب، بل لاستمالة الجمهور وتعزيز موقف المتكلم. والهدف النهائي ليس إثبات الحق مجردًا، بل **إرباك الخصم والتأثير في المتلقي**، مما يُبرز البعد الإقناعي والنفسي في الممارسة السجالية.

و من منطلقات الجدال"استخدام الحجة ويكون على خلاف الحيلة، بهدف إقناع المجادل حتى يعتقد في صحة القضية، والحجة كانت دون البرهان منزلة؛ لأنَّها تنشر الاعتقاد ولا تبني الحقيقة، ففي بنائها وكيفية إيرادها ما يشبه البرهنة المنطقية21".

تتنوّع الحجج بحسب السياقات والأوضاع، وغالبًا ما تكون واضحة المعالم من خلال مؤشّرات لغوية تسهّل التعرف عليها. أمّا **الحيلة**، فهي أداة مراوغة أكثر تعقيدًا، تعتمد على **مرونة منطقية** تُراعي خلفية الخصم ومعتقداته وأسلوبه في التفكير، ما يجعل كشفها أمرًا صعبًا حتى على المتخصص. وقد يختلط الأمر على المساجل، فيحسب الحيلة حجة أو برهانًا، لارتباطها الوثيق بسياق الخطاب وظروفه التداولية.

وقد نجد جملة من المفارقات تعد في تقدير الباحثين خصائص الخطاب السجالي، منها: الحوار الذي يفترض نوعا من التعاون، وفي نفس الوقت يفترض وجود صراع يطيح بمبدأ الحوار والتعاون بين المتنافسين يوصل إلى الشتم والثّلب والتّهمة22.

يُظهر الخطاب المتبادل بين الخصمين نوعًا من الاعتراف المتبادل والسعي نحو التقارب، من خلال إبراز الجوانب الإيجابية في طرح الآخر، إلا أن هذا الحوار في جوهره قد يخفي محاولة لاستيعاب خطاب الخصم واحتوائه بهدوء، بهدف توجيهه نحو منطلقات الخطاب المهيمن، وكأن الخلاف الظاهر يخفي رغبة في التذويب لا النقاش المتكافئ. 23 (بتصرف).

و مهما يكن من أمر هذا الخطاب فإنَّ أدوات المنافس كثيرة وأساليبه متعدِّدة، ولكل مقام مقال

" إنّ تدبير الحوار في المناظرة يتمُّ عبر تناوبِ المتدخلين على أدوار الكلام24" .
و هذا ما يميز المناظرة عن السجال بصفة عامة، فالمناظرة أساليبها في الخطاب منظمة حدّ الاحترام و إن كان باطنها كما ذهبنا شيء آخر، تماما خاصة في يتعلق بالمعتقدات و الديانات و السياسة و التي استراتجيات و استشرافات .
وهذا إذا سلَّمنا أنَّ المناظرة فنٌّ من فنون المساجلة، وهذه الأخيرة أعمّ من المناظرة التي هي شكل من أشكال الحوار الجدالي التي تتّسم بتعدّد أدوار الكلام وتناوبها المكثّف. " تصل في مناظرة أبي سعيد السَّيرافي ومتّى بن يونس إلى أكثر من ثلاثين دورا، وتبلغ ثمانية في مناظرة عبد الله بن عباس للخوارج، والعدد نفسه في مناظرة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد 25".

فالرأي المذكور يُبرز تمييزًا دقيقًا بين مفهومي "المناظرة" و"المساجلة"، معتبرًا أن المناظرة تقع ضمن إطار أوسع هو فن المساجلة، وهو طرح وجيه من الناحية البلاغية والمنهجية. فالمناظرة بطبيعتها حوار جدالي مضبوط بضوابط منهجية وأخلاقية، تتناوب فيها الأدوار الكلامية بشكل منظَّم، بينما تشمل المساجلة أنواعًا أوسع من التفاعل الحواري قد لا تلتزم تمامًا بتلك الضوابط.

والإشارة إلى عدد الأدوار الكلامية في مناظرات مشهورة، كمناظرة السيرافي ومتى بن يونس أو مناظرة ابن عباس للخوارج.

فالمناظرة ليست نمطًا واحدًا، بل تتنوّع أشكالها بحسب معايير مختلفة؛ فمن حيث الزمن يمكن تقييمها بعدد الأدوار وتناوب الكلام، كما في مناظرة السيرافي ومتى بن يونس التي تجاوزت ثلاثين دورًا، أو في مناظرات أقصر زمنًا. ومن حيث الموضوع، نجد مناظرات طويلة تتناول قضايا معقّدة، وأخرى قصيرة تركز على نقاط محددة. وقد يتطلّب بعض المناظرات التحضير الدقيق والعرض أمام جمهور، بما يشبه الطابع المسرحي في طقوسه وهيبته، خصوصًا حين تكون مرتبطة ببيان قضايا كبرى تستدعي الانتداب والتمثيل العلني.

ومن خصائص السجال في المناظرة خرق التوزيع المنتظم لأدوار الكلام؛ إذ قد تكون غير منسجمة لغلبة إرادة الإقناع وتحقيق الإفهام الذي يحرّك كل محاور. وقد تتخذ أربعة أشكال: إما صمت أحد المتناظرين، أو قطع كلام أحدهما، أو اشتباك الكلام بينهما، أو استبداد أحد المتناظرين بالكلام26.

ثالثا : آليات الخطاب السجالي في النَّقد القديم و الحديث

لفهم **آليات الخطاب السجالي في النقد القديم**، لا بد من تحليل مكوناته الجدلية واللغوية، وسياقه الحجاجي، ضمن بنية حوارية تهدف إلى الإقناع أو التفوق الرمزي، مع الاستناد إلى التراث البلاغي والجدلي العربي.
إليك عرضًا موجزًا للآليات الرئيسة، مع إحالات دقيقة لأهم المصادر التي تناولت هذا الموضوع:

أ -آليات الخطاب السجالي في النَّقد القديم

1. **الحجاج العقلي والمنطقي**
استُخدم المنطق الأرسطي وآليات الاستدلال في عدد من المناظرات، وخاصة في النقاشات الكلامية والنقدية، كما يظهر في مناظرات المعتزلة والفلاسفة 27 .
2. **التفنيد والنقض**
يقوم السجال على تفكيك حجج الخصم ونقدها، وهو أسلوب شائع في مناظرات مثل مناظرة السيرافي ومتى بن يونس، حيث فند كل طرف أسس الآخر المعرفية واللغوية28.

3. **الانزياح عن النظام الحواري المنتظم**
وتظهر هذه الآلية من خلال مقاطعة الكلام، الصمت، الاشتباك الكلامي أو استبداد أحد المتناظرين بالحديث، كاستراتيجية للتأثير أو السيطرة29.
4. **توظيف المقارنة والسخرية والتهكم**
تُستخدم أدوات لغوية حادة للهيمنة الرمزية على الخصم، كالمفاضلة بين المذاهب أو تقليل شأن الحجة المقابلة بالسخرية 30 .
5. **الاستشهاد بالسلطة النصية والدينية**
اعتمادًا على المرجعية القرآنية أو الحديث أو أقوال السلف، بما يمنح الخطاب شرعية وقوة إلزام31.

ب- آليات الخطاب السجالي في النقد القديم والحديث: دراسة في فاعلية الإيطوس

نكتفي في تعريف الإيطوس بالقول إنَّه ينسب إلى الخطابات القديمة، ويندرج ضمن الطرائق التعبيرية التي يستطيع الخطيب أن يؤثر بها على جمهوره، والتي صنفها أرسطو إلى ثلاثة أنساق : اللُّغوس ،(**Logos**) وهو يستهدف العقل ويحقق الإقناع، والإيطوس(**Ethos**) والباطوس(**pathos**) وهما يتجهان إلى العاطفة ويحدثان الإنفعال، وإذا كان اللّوغوس حجَّة منطقية فإنَّ كُلًّا من الإيطوس والباطوس بمثابة الحجج النفسية التي توافق الحالة النفسية الحقيقية للخطيب وجمهوريهن بقدر ما تعني الصورة التي يبينها الخطيب لنفسه داخل خطابه (الإيطوس)، والأثر الانفعالي الذي يحدثه في السامع حتى يهيئه التهيئة النَّفسية المناسبة التي تجعله يقبل فكرته ويقتنع برأيه (الباطوس)32 .

تبنّى القدامى من الغربيين مصطلح "الإيطوس" كمفهوم بلاغي، غير أن حضوره كآلية إقناعية سلوكية يتجاوز حدود الاصطلاح والتسمية، إذ إن فاعليته متجذرة في كل خطاب بشري، وفي كل زمان ومكان. وعليه، فإن الجدل القائم حول أسبقية التسمية أو أحقية النسبة، سواء أكانت إلى التراث العربي أم الغربي، يُعدّ ضربًا من المزايدة غير المجدية؛ لأن المهم ليس من صاغ المصطلح أولًا، بل كيف نُدرك اشتغال آلياته داخل الخطاب. ومن هذا المنظور، يُنتفى النزاع حول السبق المعرفي بين ما هو ابتكار عربي وما هو وافد غربي.

" فالإيطوس هو الحجَّة التي تمكّن الخطيب من الإحراز على ثقة جمهوره وإعجابهم، وذلك من خلال ما يظهره من حسن أخلاق وجميل الصفات، ولاشك في أنَّ تلك الصورة التي ينحتها الخطيب لنفسه داخل الخطاب ليست بمعزل عما يحمله الجمهور عن ذلك الخطيب من انطباعات ناجمة عن معرفة سابقة بسيرته وأخلاقه وعلمه 33 ".

وإن كانت هذه المصطلحات غربية إلا أنها تحمل الدلالة العربية نفسها، وما نركز عليه هنا هو وظيفة المصطلح في حد ذاته لا قيمته اللفظية و لا مسوغاتها .

فالذي يهمنا في البحث عن الإيطوس لإيجاد الوسائل التي تجعل الخطيب متمكنا ليخدم مشروعه الحجاجي – وإن كانت مزيفة في كثير من الأحيان؛ لأن التصنع والتمظهر يعزز الصفات الإيجابية التي تحسن الصورة، في حين " يبنى الحجاج الجدلي على عدة مرتكزات حتى يضمن سِلّات التّحاور في عملية الإبلاغ والتّبليغ من جهة، وتحقيق الغلبة على الخّصم من جهة أخرى، فالمجادل يهمه تحقيق حق وإبطال باطل وتصويب خطأ 34 ".

الجدال حول الأسبقيات المعرفية كثيرًا ما يتحوّل إلى خلاف عقيم لا طائل تحته، إذ يُغذّي التشنج والمشاحنة بدل أن يخدم البحث أو الحوار، ولذلك رفضه كثير من الدارسين لعدم جدواه. فالاختلاف لا يكون مثمرًا إلا إذا انبنى على موضوع محدد، أما غياب وضوح محل النزاع فيؤدي غالبًا إلى صراع فارغ. وقد عبّر سقراط عن هذا المعنى بقوله: "إذا عُرف موضوع النزاع بطل كل خلاف"، لأن التفاهم لا يتحقق إلا بالوضوح وتبادل وجهات النظر 35 ..

تتجلّى في آليات السجال تأثيرات البيئة والسياق الحضاري، خاصة في الدفاع عن اللغة العربية والدين الإسلامي، وهي قضايا تصاعدت مع مطلع القرن التاسع عشر، فاستنهضت جهود أدباء ونقاد كالعقاد، والمازني، وطه حسين. وقد أسهم محمود شاكر، متأثرًا بأستاذه المرسَفي، في ترسيخ هذا الاتجاه، كما ترك الرافعي أثرًا بارزًا في المشهد الثقافي من خلال دفاعه عن الهوية.

ولشاكر، وفي علاقته بأدباء عصره، فيذكر الرافعي عمدا بوصفه واحدا من أشهر تلاميذه وأنصاره، يقول في أحدى رسائله سنة 1931 م ، " وكتب إلي ابن شاكر –و هو من أكبر المخلصين لنا- أنَّ العقاد تناقض في هذا ابن الرومي حياته و شعره تناقضا فاحشا 36"، وفي موضع آخر يقول : " وابن الشيخ شاكر هذا من المخلصين لنا كل الإخلاص والمتعصبين كل التّعصب، أكثر الله من أمثاله ...37".

ولا ريب أنَّ لهذه العلاقة دورها الكبير في علاقة شاكر بطه حسين التي كانت على النَّقيض، من علاقته بالرافعي ملأها الجدل والخلاف، ممَّا كان له كبير الأثر في حياة محمود الشخصية والأدبية والفكرية، فطه حسين كان حادا مع الرافعي، وإن كان خلاف تحكمه قضايا الصِّراع بين القديم والجديد، كموضوع بين النُّقاد والأدباء في ذلك العصر.

فالفعل السجالي وحده لا يكفي لتحقيق الغاية، إذا لم يتوفَّر فاعل السِّجال كفعل أولي إيديولوجي محقق للخطاب السِّجالي، وهنا يكمن الفرق بين السِّجال والخطاب السَّجالي، إذ يعد الأول إجراءً أو آلية بلاغية، يقصد من ورائه الوصول إلى أهداف وغايات عبر نسق الفعل الكلامي وقودة التَّلفظ، أمَّا الثَّاني فيمكن تمثُّله كإجراء لغوي يحوز مكونات لغوية وتدعمه سياقات إيديولوجية مكملة لهذا المكون 38 .

فلكل فعل ردّ فعل، غير أن التفاعل في السياق السجالي لا يحدث بشكل آلي، بل تصوغه الإيديولوجيا التي تُوجّه المواقف والردود، ضمن إطار بلاغي حجاجي، وبحسب نظام تداولي يحكم اللغة والخطاب. ومن هنا تتأسس العلاقة العضوية بين السجال والخطاب السجالي..

وهذا طرح في غاية الأهمِّية خاصَّة في المجال الفعلي للكلام وعلاقته بنفسية الكاتب أو الناقد " فالتَّداولية تحايث الدلالة والتراكيب اللغوية التي تركز على المعنى الحرفي الذي تؤديه الجملة، فهي تركز على المنطوق 39 "

ومنه فالسَّجال والخطاب السجالي يكمل بعضهما بعضا، إذ نقول أنَّ السَّجال هو الهيكل الذي يحوز بداخله خطابات سجالية، ولضبط العلاقة بين المصطلحين يمكن الإستفادة من المخطط الآني40 "

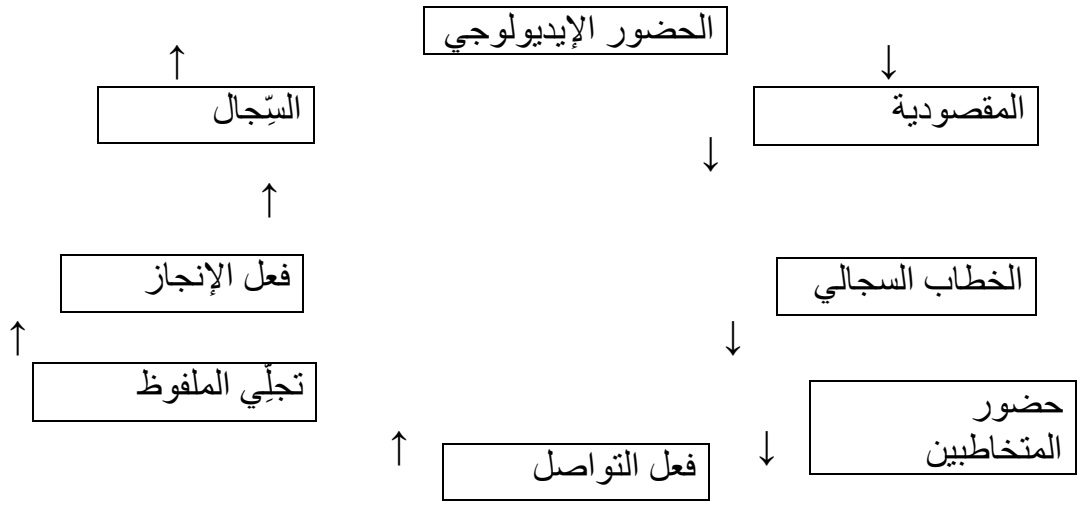

مخطط إجرائي يوضح آليات انتقال الخطاب من مستوى التلفظ إلى مستوى السِّجال

رابعا : التكرار إستراتيجية في نظام الخطاب السِّجالي في شعر النقائض

01-تعريف التكرار لغة

جاء في لسان العرب لابن منظور : الكرُّ؛ الرجوع، و الكَرُّمصدر كَرَّ عليه تَكَرُّ كرًّا و كُرُورا . و الكَرُّ: الرجوع على الشيء، و منه التَّكرَارُ و كرَّر الشيء و كَركَرَهُ ؛ أعاده مرَّة بعد أخرى...و الكرَّة : المرة و الجمع كرَّات 41.

02- تعريف التكرار اصطلاحا

يقول صبحي إبراهيم الفقي : " التكرار هو إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة 42".

و يعدّ التكرار من تقنيات التعبير التي تقوّى المعاني و ترفع من قيمة النصوص، نظرا لما تظيفه من قيمة دلالية و موسيقى فنية، منه فالصورة المكررة لا تحمل الدلالة السابقة نفسها؛ بل تحمل دلالات جديدة 43.

من خلال ظاهرة التِّكرار يمكننا طرح رؤية جدلية لفهم المعنى المشترك في الخطابات الحوارية السِّجالية، أو أنَّ العلاقة بين هذه الخطابات علاقة جدلية تتأكَّد فيها فكرة السِّجال الحجاجي في الخطاب الشعري العربي القديم، وفي نفس الوقت يدخل فيها الخطاب الثاني في علاقة تواصل معرفي ولغوي مع الخطاب الأول، وهو يدل عليه في الوقت نفسه، ومن ثمَّة تشترك هذه الخطابات في التواصل والدلالة وهو ما يعطيهما قيمتها المعرفية المؤسسة على الجدل والمناقشة 44 .

" فإذا كانت اللُّغة هي أداة التواصل الإنساني الأساسيَّة، فإنَّ التِّكرار هو أداة التَّواصلة، التِّي تتحقَّق على مستوى التَّلقِّي الفكري والفلسفي عن طريق المساءلة والمناقشة، وعلى هذا يصبح التِّكرار مجالا معرفيا لاستيعاب الأفكار وإعادة إنتاجها، ومن ثمّة يصبح علامة عليها " 45 .

فاللُّغة أداة اتّصال، بينما بلورة الأفكار؛ فعل فكريّ، بحيث تحكمه مواقف معرفيّة إيبستيمية، حيث يعمل الحوار دوره في تمييز ظاهرة التِّكرار، وقد يكون هذا الحوار بين الشاعرين أو الخطابين أو الناقدين، تتأسّس فيه العلاقة عبر الاختلاف والتنوع بقصد الإفهام والوعي بالآخر، وليس على الاتفاق، ومنه يُمَكِّننا في – هذا السياق- عن إمكانية تجاوز الفرد حدود الأنساق الثقافية 46.

ومن منطلق أن يكون التِّكرار إستراتيجية تواصل في نظام الخطاب السِّجالي، فإنَّنا نبحث عن وظيفة التّكرار في الخطاب وليس في الجملة، ويمكننا مناقشة الإشكاليات المطروحة داخل الظواهر النَّقدية كما يلي :

ما علاقة التكرار كظاهرة لسانية بنظام الخطاب ؟ هل ينحصر دور الظاهرة اللِّسانية في نقل الأفكار؟ أم في الكشف عن التحولات المعرفية داخل الحوارات ؟ ما الدَّور غير التقليدي الذي يمكن أن نستشفَّه من ظاهرة التِّكرار خاصَّة الكشف عن نوعية أبعاد المعرفة للتواصل بين الخطابات ؟ ما المعنى الجديد الذي تضيفه ظاهرة التَّكرار في مدرسة الظواهر اللِّسانية داخل النصوص ؟ هل يختلف المعنى الذي توفره لنا دراسات الظاهرة اللِّسانية في الخطابات الخاصَّة مثل ما هو الحال في النقائض، المعارضات، شعر الصعاليك إلخ عن المعنى في الخطابات الشعرية الأخرى ؟

" وتجدر الإشارة – ها هنا- إلى أنَّ قيمة التِّكرار في الخطاب السِّجالي تكمن في استيعابها ديناميكيا (حوار ، الخطابات النصوص،) والتي تقوم على أنَّ كل خطاب أو نصٍّ يطرح أفكاره دائما للمساءلة والمراجعة والمناقشة ...لكن محدوديَّة أفق الخطاب النَّقدي العربي حول شعر النَّقائض هو الذي أدَّى إلى نوع من سوء الفهم لهذا النِّظام من الخطابات؛ لأنَّ عقيدة التّقليد افترست أفكارنا النَّقدية وحصرت الفكر النَّقدي في أفق معرفي ضيق يزكي الأوضاع النَّقدية السائدة " 47.

ويمكن القول أنَّ التِّكرار ظاهرة لسانية تؤدي دورا مهمًّا داخل الخطاب الشِّعريّ، وهذا الدور كشفته الدراسات السيميائيّة الحديثة، ويمكن القول أنَّ التَّجانس الذي تحدثه العبارات من حيث الوزن الصوتي والصرفي متجاوزا وظائفه التقليديّة المعروفة في النَّقد التَّقليدي ليصبح في النَّقد الحديث أداةً معرفيَّةً يستخدمها الشاعر لتطوير المعنى في خطابه أو نصّه، ويتعامل معه النَّاقد بوصفه أسلوبا يثير التساؤلات حول لجوء الشعراء إلى هذه التراكيب المكرَّرة ودلالات استخدامها48 .

ومنه فإنَّ التِّكرار في التراث العربي ظاهرة عرفها الشعراء والنُّقاد القدامى، وتعد هذه الظاهرة حتمية للحفاظ على الجنس الأدبّي و استمراريته، وفي الوقت ذاته أداة تواصل معرفيّة؛ المعنى الأول ينظر عليه بوصفه مصدرا للمعرفة الجديدة ومؤولا للدلالة المتنامية في الخطاب الثاني ، يقول كعب بن زهير :49

مَا أَرَانَا نَقُولُ إِلَا رَجِيعًا * أَوْ مُعَادًا مِنْ لَفظِنَا مَكْرُورًا

و يقول ابن المقفّع :"ومن جرى على لسانه كلاما يستحسنه أو يستحسن فلا يعجبنّ به إعجاب مخترع، فإنهَّ إنَّما اجتباه"50.

وقد توصلنا ظاهرة التِّكرار حول قضية تداخل النُّصوص والوعي الجمعي عن طريق تولد المعاني في معاني أخرى عن طريق توالي الأفكار، ومنه تحدث ظاهرة السرقات الأدبيّة وحتى الشِّعرية التي حذرنا منها النُّقاد ووضعوا لها معايير.

" ومن أهمِّ شروط القدماء لقبول التِّكرار ؛ إمَّا الزِّيادة على المعنى السابق أو صياغة هذا المعنى بألفاظ أبلغ وأجزل من الألفاظ الأولى، يقول ابن المعتز : " ولا يُعذر الشاعر في سرقته حتى يزيد في إضاءة المعنى، أو يأتي بأجزلَ من الكلام الأول أو يفسح له بذلك معنى يفصح به ما تقدّم ولا يفتضح به، وينظر إلى ما قصده نظر مستغنٍ عنه لا فقير إليه " 51.

وهناك من النُّقاد من اشترط كسوة اللفظ في التِّكرار، وهناك من دعا إلى ضرورة أن جمال التِّكرار فيه الإبداع ولعلى الوعي المتعاضم بأهمية التراث لدى شعراء النَّقائض الثلاثة، هو الذي أسهم بدور فعَّال في تتطور مفهوم التِّكرار في شعر النَّقائض...و لهذا يعد التِّكرار في شعر النَّقائض أحد أهم العناصر التي تقوم عليها التَّجربة الشعريَّة في هذا النوع من النُّصوص " 52.

يقول عبدالفتاح أحمد يوسف :" أنَّ التكرار في الخطاب السِّجالي يؤكِّد فكرة(التَّعزيز) بين المستويات اللُّغوية المتباينة، بين الصوت والمعنى، و بين العبارات ودلالاتها المختلفة من شاعر إلى آخر وتتَّضح هذه الفكرة من خلال تحليل الأبيات التالية :

يقول الفرزدق :53

أَحلامُنا تَزِنُ الجِبالَ رَزَانَةً * وتَخَالُنا جِنًّا إذا مَا نَجهَلُ
فَادفَعْ بِكَفِكَ إنْ أَرَدْتَ بِناءَنا* ثَهْلانَ ذا الهَضَبَاتِ هَلْ يَتَحَلْحَلُ؟

فيجيبه جرير بقوله :54

أَحْلامُنا تَزِنُ الجِبالَ رَزَانَةً * ويَفُوقُ جَاهِلُنا فِعَالَ الجُهّلِ
فَارجِعْ إلَى حَكَمَيْ قُرَيشٍ إنَّهُمْ* أَهْلُ النُّبُوَةِ والكِتَـابِ المُنْزَّلُ

فيرد عيه الفرزدق : 55

إنَّا لَتُوزَنُ بالجِبالِ حُلُومُنا * ويَزِيدُ جُاهِلُنا عَلى الجُهَّالِ
فَاجمعْ مَسَاعِيكَ القِصَارَ فَوَافِنِي * بِعُكاظِ يَا بنَ مَربقِ الأَجْمَالِ

إنَّ عناصر (الإثارة) في أبيات الفرزدق الأولى في (الفخر) في البيت الأول، ثم الدعوة الصريحة إلى سرعة المبارزة والرد في البيت الثاني، ممثلة في الفاء وفعل الأمر(فادفع) و(إنَّ) تؤكِّد قوة الفرزدق من ناحية، وضعف جرير وعدم استطاعته مُواجَهةً من ناحية أخرى، فأبيات الفرزدق المثير أوردت نوعا من الاستجابة عند جرير في أبياته التي ردَّ فيها على الفرزدق...و الدعوة الصَّريحة إلى المبارزة والمجادلة في الفعل(فارجع) 56.

" و يمكننا القول أنَّ التَّكرار في الأبيات السابقة كان على مستويين :

المستوى الأوَّل : تكرار الألفاظ؛ وهو ممثل في تكرار الشَّطر الأوّل من البيت الأوّل عند الشّاعرين" أحْلامُنا تَزِنُ الجِبالَ رَزانةً "

المستوى الثاني : تكرار المعاني؛ حيث يسعى الشّاعران إلى تأكيد معان معينة (الحِلم ، الرَزانة) والربط بينهما وبين الفخر في سياق دلالي مشترك 57 .

ومن خلال هذين المستويين يمكن تمييز السِّمات الثَّقافية لظاهرة التَّكرار كنموذج في الخطاب الشِّعري على الخصوص .

أ / التناظر :كما نلمس السِّمات الثَّقافية للتَّكرار في خطاب النَّقائض ونجد خاصية الرد والإثبات أو الرد والنفي، ففي حالة الرد والإثبات قول الفرزدق 58.

فَهَلْ أَحَدٌ يَا ابنَ المَرَاغَةِ هَارِبٌ* مِنَ المَوتِ إنَّ الموتَ لاَ بُدَّ نَائِلُهُ

فَإنّي أنَا الموتُ الذي هُوَ ذَاهِبٌ*بِنَفْسِكَ فَانْظُرْ كيفَ أَنتَ مُزَاوِلَهُ

فيجيبه جرير 59 بقوله :

أَنَا الدَّهْرُ يَفْنِي المَوتَ والدَّهرُ خَالدٌ * فَجِئْنِي بمثلِ الدَّهرِ شَيئًا يُطاوُلُه ؟

فالتَّناظر في قول الفرزدق (أنَا الموتُ الذي ذاهبٌ بنفسكَ ...) والدعوة الصَّريحة للمناظرة عند جرير، فأثبت لنفسه هو الآخر قوةً أعتا في (الدَّهر) : (أنَا الدهرُ يفني الموتَ والدهرُ خالدٌ ...) ثم الدعوة الصَّريحة – أيضا- إلى المناظرة ممثلة في الأمر(فَجِئْنِي) 60.

و ما يستشف في النّقائض قديما هو هيمنة فكرة التفوق والغلبة التي تتَّخذ من السِّجال بساطا لها، ومنه يعكس ترتيب كل شاعر و هذا جانب مهم جدا .

" ومن خلال السّؤال الذي سيستدعي بالضرورة جوابا إشكاليا، سيتفهم الشَّاعر ويدعوه إلى الإجابة عن السّؤال المطروح، وتأتي الإجابة دائما تتجاوز معنى اللفظ فيصبح الجواب سؤالا؛ لأنه – أي الجواب- يطرح أفكارا، أخرى تتضمن أسئلة جديدة تنتظر إجابات، وهذه سمة من سمات شعر النَّقائض، ويبدوا أنَّ هذا النَّمط في الجدل كأنَّه قد أعد خصيصا لهذا النوع من السَّجال "61.

وقد يكون التَّناظر معتمدا على (الرد والنفي) وفي هذا المعنى يقول الفرزدق 62:

إنَّ الذي سَمَكَ السَّماءَ بَنا * بَيتا دعائمُه أَعَزُّ وأَطْوَلُ

بَيتا بَناهُ لنا المَليكُ ومَا بنا* حَكَمَ السَّماءَ فَإنَّهُ يَنْقُلُ

بَيتا زُرَارة مُتَحَتِّبٍ بفنائهِ * و مُجاشِعٌ وأبُو الفوارِسِ نَهشلُ

فيجيب جرير بقوله :63

أَخْزَى الذي سَمَكَ السَّماءَ مُجَاشِعًا * و بنا بناءَكَ في الحَضيضِ الأسفَلِ

بَيتًا يَحْمِم قِينَكُم بفنائهِ * دَنَسًا مَقَاعِدُه خَبيثَ المَدخلِ

فالرد والنَّفي في أبيات جرير يحاول الردَّ على أبيات الفرزدق، ونفي الصِّفة التي أثبتها الفرزدق لنفسه وعشيرته في أبياته، في حين أنَّ جرير لم يثبت الصِّفات لنفسه 64.

" لذا فإنَّ فاعلية الخطاب السِّجالي تكمن في إساءة قراءة النصّ السَّابق، وتفكيكه على النَّحو الذي يولد نصًّا جديدا، يستوجد قراءة أخرى و تفيكيكا آخر"65.

و لربما دواعي الردّ وما تتطلبه من ردّ مع مراعاة مقتضى الحال هو الذي يدفع لإنشاء نمط آخر يعكس التصور النفسي بالشعور للآخر، من خلال إعادة الصياغة بأسلوبي النفي و الإثبات المكرر.

ب/ التواصل : وقد يؤسس هذا الخطاب لثقافة التواصل اللِّساني وهي في الأصل ثقافة ملاسنة من نوع خاصّ تبين نظرات العربي للآخر المبنية على الاستعلاء66، (بتصرف) .

يقول الفرزدق : 67

بأيّ رشاءٍ يا جريرَ وماتحٍ * تدلّيكَ حَوماتِ تلكَ القَماقِمِ

و مَا لَكَ بَيْتَ الزِّبرقانَ وظِلُّهُ* ومَا لك بيتَ قَيسِ بن عاصِمِ

و لَكِن بدَا للذُّلِ رَأسكَ قاعدا* بِقَرْقَرةٍ بين الجِداءِ التَوائمِ

فيجيبه جرير بقوله 68 :

مَددنا رِشَاءً لا يُمَدُّ لريبةٍ * ولا غدرةٍ في السَّالفِ المُتَقادمِ

تَعالوا نُحاكِمْكم وفي الحقِّ مَقنعٌ * إلى الغرِّ من آل البِطاحِ الأكارِمِ

فإنَّ قِرشَ الحَقِّ لن تَتَّبعَ الهَوَى * ولن يقبلوا في اللهِ لومةَ لائمِ

فخطاب جرير هذا قد انطلق من خطاب الفرزدق السابق، وبحلة أخرى، نلمس فيه بعض التّوتر المنشأ للحركة والتحوّل في النّص، وفي الوقت نفسه لم يزح الخطاب الأوّل للفرزدق، بل نلمس سمة التواصل الجدلي، فسخرية الفرزدق من صاحبه في قوله (بأيّ رشاءٍ يا جرير ....) يوازيها (مَددنا رشاءً لا يمدُ لريبةٍ ...) مثالا للعزة والشرف والفخر في شعر جرير .

ج/ التّناقض: وقد نجد معنى التّناقض بين كل من الفرزدق وجرير، والنّاجمة عن رغبةٍ جامحة في التفوق وإظهار المهارات من خلال الأبيات وحتى القصائد، حتى نشعر أنّنا أمام صراع ثقافيّ حقيقيّ من نوع آخر، ربما ولد أزمة في نفسيّة تثبت من خلالها الذات الثّقافية بإقصاء كل منهما للآخر، وكمثال على ذلك : يقول جرير69 (و هو يهجو الفرزدق) :

لَقَد وَلَدَتْ أمُّ الفرزدق فَاجِرا * وجاءتْ بِوَزْوَازٍ قَصِيرَ القَوائِمِ
و ما كان جَارٌ للفرزدقِ مُسلمٌ * لِيَأْمَنَ قِرْدًا لَيْلُهُ غَيْرُ نَائمِ
يُوصَّلُ حَبْلَيْهِ إذَا جَنَّ لَيْلُهُ * لِيرقَى إلَى جَارَاتِهِ بِالسَلَالِمَ

فيجيبه الفرزدق 70 بقوله :

فَإنَّكَ كَلْبٌ مِنْ كُلَيْبٍ لِكَلْبَةٍ * غَذَّتْكَ كُلَيْبٌ فَي خَبيثِ المَطَاعِمِ
و لَيْسَ كُلَيْبِيٌّ إذَا جَنَّ لَيْلُهُ * إذَا لَمْ يَجِدْ رِيحَ الأَتَانِ بِنَائِمِ

لقد جنا الشاعران على بعضهما البعض، فما الدافع الذي يجعل جرير يشبه الفرزدق بالقرد الذي لا يؤتمن وبالزاني والفاجر الذي يقع على الجارات في عبارة (ليرقَى إلى جاراتِهِ بالسلالِمِ)؟، إلا أن الفرزدق يرمي جريرا بالخبث من خلال العبارات التالية (إذا جَنَّ لَيلَهُ)، بل ويصفه بالكلب ويؤكد عليه في قوله : (فإنَّك كلبٌ من كُليبٍ لِكلبةٍ)، وهذه الألفاظ اللا أخلاقية تنمُّ عن التناقض الصريح في اللامبالات و الغيض .

ولعلى كل هذه الأساليب من التّناظر إلى التناقض إلى التواصل، توصلنا إلى أنَّ الأساليب الحوارية أساليب تنفيرية غرضها الإنشاء والتبارز وليس التقارب، ويمكن الحكم عليها على أنّها إنتكاس لنفسيات الشّعراء والنّقاد بصفات أخرى تبرز السلبية في الآخر، وإلحاق الهزيمة به.

الخاتمة :

يمكننا القول أنّ للخطاب السّجالي أهدافا، منها القدرة على التجاوز المعرفي بمتغيراته بين أطراف الحوار والتوسع المعرفي، وهو فلسفة خطابية جدالية ذات تحيز، تجدّد نشاط العقل والفكر عن طريق التعبير ضمن أشكال الخطاب بطرق جديدة، للتّأسيس المعرفي والتواصلي بين الأنا والآخر، فللسّجال الشّعري مشروع معرفي في قالب أدبي، ومن بين أساليب الخطاب السّجالي نجد **الاستطراد الصريح** الذي يجعل الصلة مبتوتة بين المسألة وسابقتها، ومنه **وضع مفترضات** للخصم وخرق التوزيع المنتظم لأدوار الكلام ولربّما الصمت مع حرية في **التأويل والانفتاح، ثمّ نهاية السّجال عن طريق البرهان أو الحجّة أو الحيلة، عن طريق آلية** الإيطوس و الباطوس وهما بمثابة الحجج النفسية التي توافق الحالة النّفسية الحقيقية للخطيب وجمهوره، وتبيّن الأثر الانفعالي الذي يحدثه في السّامع حتى يهيئه التهيئة النّفسية المناسبة التي تجعله يقبل فكرته ويقتنع برأيه، ومن خلال ظاهرة التّكرار يمكننا طرح رؤية جدلية لفهم المعنى المشترك في الخطابات الحوارية السّجالية، ويمكن القول أنَّ التّجانس الذي تحدثه العبارات من حيث الوزن الصوتي والصّرفي متجاوزا وظائفه التّقليدية المعروفة في النّقد التّقليدي ليصبح في النّقد الحديث أداة معرفية يستخدمها الشّاعر لتطوير المعنى في خطابه أو نصّه، من خلال **المستوى الأول؛** تكرار الألفاظ، و**المستوى الثاني؛** تكرار المعاني، ومن خلال هذين المستويين يمكن تمييز السِّمات الثّقافية لظاهرة التّكرار كنموذج في الخطاب الشّعري على الخصوص؛ إمَّا من خلال التنافر أو التواصل أو التناقض.

الهوامش :

1- **فان ديك، تيو .تحليل الخطاب: من البنية إلى السياق .ترجمة: سعيد بحيري،ط1، المركز القومي للترجمة، 2010، ص 195.**
2- **يوسف عبد السلام .الخطاب الحجاجي في التراث النقدي والبلاغ،ط1، .دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009، ص 87.**
3- شارل بيرلمان .الإمبراطورية البلاغية: الخطاب والحجاج،.ط1، ترجمة: محمد سبيلا،دار توبقال، 1999، ص 122.
4- المرجع نفسه ، ص122.
5- دوسو باتريك .التحليل التداولي للخطاب.،ط1، ترجمة: عبد الرحمن أيوب، المنظمة العربية للترجمة، 2013، ص 66.
6- الشهرستاني، **محمد بن عبد الكريم .الملل والنحل ط3، .، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، 1993، ج1، ص 15.**

7- دوسو باتريك .التحليل التداولي للخطاب،المرجع السابق ، ص 66.
8- باشا العيادي : فن المناظرة في الأدب العربي –دراسة أسلوبية تداولية،ط1 ، دار كنوز المعرفة ، عمان – الأردن، 2014م، ص66.
9- عبدالفتاح أحمد يوسف، الخطاب السجالي في الشعر العربي ، تحولاته المعرفية ورهاناته في التواصل ، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بنغازي – ليبيا ، 2014، ص 14.
10- دوسو باتريك .التحليل التداولي للخطاب،المرجع السابق، ص 66.
11- فان ديك تيو .تحليل الخطاب: من البنية إلى السياق، المرجع السابق، ص 195.
12- حاتم عبيد، من الخطاب إلى تحليل الخطاب، مفاهيم خطابية من منظور جديد ،ط1، دار رؤيا للنشر القاهرة ، مصر ،2018 ص164.
13- مصطفى صادق الرافعي ، على السفود نظرات في ديوان العقاد ،دط،مطبعة الشباب، مصر، 1921، ص 07،08.
14- المرجع نفسه، ص7.
15- بيرلمان شارل .الإمبراطورية البلاغية: الخطاب والحجاج، المرجع السابق، ص 122.
16- فان ديك، تيو .تحليل الخطاب: من البنية إلى السياق، المرجع السابق، ص 195.
17- مصطفى صادق الرافعي ، على السفود نظرات في ديوان العقاد،دط، ، مطبعة الشباب، مصر، 1921،ص(162، 163)
18- ا المرجع نفسه ،ص163 .
19- المرجع نفسه، ص 162، 163 .
20-المرجع نفسه، ص 163 .
21- حاتم عبيد ، من الخطاب إلى تحليل الخطاب، مفاهيم خطابية من منظور جديد، المرجع السابق ، ص 165.
22- المرجع نفسه، ص 166 ..
23- المرجع نفسه، ص167.
24- عبد اللطيف عادل ، بلاغة الإقناع في المناظرة، ط1، منشورات الاختلاف ، بيروت – لبنان ، 1434ه ،2013م ص 188.
25- المرجع نفسه، ص 189.
26- حمدان أبو بكر .المحاججة في المناظرات: دراسة تداولية حجاجية .بيروت: دار الطليعة. 2008، ص. 133–135.
27- الجابري محمد عابد. (بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. 1991 .ص (142–150).
28- حمدان أبو بكر، المحاججة في المناظرات: دراسة تداولية حجاجية، المرجع السابق ، ص. 95–103.
29- بلعابد عبد الحق، بلاغة الحوار في الخطاب الأدبي والنقدي .الجزائر: منشورات الاختلاف.2011، ص.(98–101).
30- بوغنيم فاطمة الزهراء .آليات السجال في النقد القديم: من الموازنة إلى الإنصاف .الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.2016، ص. (73–85).
31- الزاوي عبد السلام. النقد العربي القديم بين سلطة المرجع وآليات السجال .الرباط: منشورات كلية الآداب. 2002، ص.(109– 117).
32- تركي أحمد : الحجاج الجدلي في البلاغة العربية ، أبو الحسن إسحاق ابن وهب أنموذجا ، مجلة اللغة العربية ، المجلد 24 العدد 2 السنة (الثلاثي الثاني) 2022 تاريخ المقال : 2021/12/21، ص 560.
33- المرجع نفسه ، ص172.
34- المرجع نفسه ، ص172.
35- المرجع نفسه ، ص 560، 561.
36- محمود أبو رية، رسائل الرافعي، ط1،دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1950م ، ص210.
37- المرجع نفسه، ص 236، (237)'
38- سعيد بو معزة :بلاغة السجال وشعرية المواجهة في رواية كتاب الأمير (كريماتوريوم)، للروائي واسيني الأرج، دراسة تداولية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في تحليل الخطاب، 2018/2017 جامعة أبو القاسم سعد الله قسم اللغة العربية وآدابها ، ص (45، 46)
39- محمد ناصر العجمي : إجتياز الحدود في مساءلة مفهوم الخطاب السجالي، دط ،دار المغاربية في الطباعة وإشهار الكتب ، سفاقس ، تونس، ط1 ، 2010 ، ص 209.
40- المرجع نفسه ، ص 46.
41- بن منظور ، لسان العرب ، دار الصادر، بيروت ، دط، دت، 135/5.

42- صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، القاهرة، 1431ه-2000م، 2م،ص20.
43- ميلود نزار، الغحالة التكرارية و دورها في التماسك النصي بين القدامى و المحدثين، مجلة علوم إمسانية' ع44، جانفي 2000م، ص1.
44- عبدالفتاح أحمد يوسف، الخطاب السجالي في الشعر العربي، المرجع السابق، ص225.
45- المرجع نفسه، 225.
46- المرجع نفسه، 226.
47- صنعة السّكري ، شرح ديوان كعب بن زهير ، دط ، دار الكتب المصرية، القاهرة ، 1950م ، ص15 .
48- نفس المرجع ، ص 228.
49- نفس المرجع ، ص 166.
50- عبد الله بن المقفع ، الأدب الكبير والأدب الصغير ورسالة الصحابة ، شرح يوسف أبو خليفة ، دط ، مكتب البيان ، بيروت – لبنان- 1964م، ص34.
51- المرزباني ، شرح و تحقيق علي محمد البجاوي، دط ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د ت ، ص 478.
52- عبدالفتاح أحمد يوسف، الخطاب السجالي في الشعر العربي ، المرجع السابق ، ص (231، 232).
53-أبو عبيدة، كتاب النقائض، ناقض جرير الفرزدق، دط، مطبعة بريل، 1907م، ص 188.
54- المرجع نفسه،، ص 224.
55-28 المرجع نفسه ، ص 4.
56- عبدالفتاح أحمد يوسف، الخطاب السجالي في الشعر العربي، المرجع السابق، ص(233.232.).
57- المرجع نفسه، ص233.
58- المرجع نفسه ، ص606.
59- المرجع نفسه ، ص 651.
60- المرجع نفسه، ص(134، 135).
61- المرجع نفسه، ص 235.
62- أبو عبيدة، نقائض جرير والفرزدق، المرجع السابق ، ص 182.
63- المرجع نفسه، ص (214.213).
64- عبدالفتاح أحمد يوسف، الخطاب السجالي في الشعر العربي، المرجع السابق، ص237.
65- المرجع نفسه، ص238.
66- المرجع نفسه، ص239 .
67- أبو عبيدة ، نقائض جرير والفرزدق، المرجع السابق، ص 752 .
68- ، المرجع نفسه، ص763.
69- المرجع نفسه، ص(396.395).
70- المرجع نفسه، ص753.

قائمة المصادر والمراجع :

أولًا: المصادر والمراجع

1. أبو عبيدة .*كتاب النقائض، ناقض جرير الفرزدق* .دط، مطبعة بريل، 1907م.
2. الرافعي مصطفى صادق .*على السفود: نظرات في ديوان العقاد* .دط، مطبعة الشباب، مصر، 1921.
3. الزاوي عبد السلام .*النقد العربي القديم بين سلطة المرجع وآليات السجال* .الرباط: منشورات كلية الآداب، 2002.
4. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم .*الملل والنحل* .ط3، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، 1993، ج1.
5. الصنعة السّكري .*شرح ديوان كعب بن زهير* .دط، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1950م.
6. الفقي صبحي إبراهيم .*علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية* .ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1431هـ/2000م.
7. بلعابد عبد الحق .*بلاغة الحوار في الخطاب الأدبي والنقدي* .الجزائر: منشورات الاختلاف، 2011.
8. بن منظور .*لسان العرب* .دار الصادر، بيروت، دط، دت، ج5.

9. بوغنيم فاطمة الزهراء .*آليات السجال في النقد القديم: من الموازنة إلى الإنصاف* .الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 2016.
10. بيرلما نشارل .*الإمبراطورية البلاغية: الخطاب والحجاج* .ط1، ترجمة: محمد سبيلا، دار توبقال، 1999.
11. دوسو باتريك .*التحليل التداولي للخطاب* .ط1، ترجمة: عبد الرحمن أيوب، المنظمة العربية للترجمة، 2013.
12. عبد الله بن المقفع .*الأدب الكبير والأدب الصغير ورسالة الصحابة* .شرح يوسف أبو خليفة، دط، مكتب البيان، بيروت – لبنان، 1964.
13. عبد اللطيف عادل .*بلاغة الإقناع في المناظرة* .ط1، منشورات الاختلاف، بيروت – لبنان، 1434هـ/2013م.
14. عبد الفتاح أحمد يوسف .*الخطاب السجالي في الشعر العربي: تحولاته المعرفية ورهاناته في التواصل* .ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي – ليبيا، 2014.
15. فان ديك تيو .*تحليل الخطاب: من البنية إلى السياق* .ترجمة: سعيد بحيري، ط1، المركز القومي للترجمة، 2010.
16. محمد ناصر العجمي .*اجتياز الحدود في مساءلة مفهوم الخطاب السجالي* .دط، دار المغاربية في الطباعة وإشهار الكتب، سفاقس – تونس، ط1، 2010.
17. محمود أبو رية .*رسائل الرافعي* .ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1950م.
18. يوسف عبد السلام .*الخطاب الحجاجي في التراث النقدي والبلاغي* .ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009.
19. حاتم عبيد .*من الخطاب إلى تحليل الخطاب: مفاهيم خطابية من منظور جديد* .ط1، دار رؤيا للنشر، القاهرة – مصر، 2018.
20. حمدان أبو بكر .*المحاججة في المناظرات: دراسة تداولية حجاجية* .بيروت: دار الطليعة، 2008.
21. الجابري محمد عابد .*بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية* .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991.
22. باشا العيادي .*فن المناظرة في الأدب العربي – دراسة أسلوبية تداولية* .ط1، دار كنوز المعرفة، عمّان – الأردن، 2014.

ثانيًا: الرسائل الجامعية

1. بو معزة سعيد .*بلاغة السجال وشعرية المواجهة في رواية كتاب الأمير (كريماتوريوم) للروائي واسيني الأعرج: دراسة تداولية* .رسالة دكتوراه، جامعة أبو القاسم سعد الله، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر، 2018/2017.

ثالثًا: البحوث والمقالات العلمية

1. تركي أحمد. "الحجاج الجدلي في البلاغة العربية: أبو الحسن إسحاق بن وهب أنموذجًا ."*مجلة اللغة العربية*، المجلد 24، العدد 2، الثلاثي الثاني، 2022. تاريخ الإيداع: 2021/12/21.
2. ميلود نزار. "الظاهرة التكرارية ودورها في التماسك النصي بين القدامى والمحدثين ."*مجلة علوم إنسانية*، العدد 44، جانفي 2000م.